

## الحرب الحضارية - الثقافية - محاولة لرصد تاريخ المصطلح والظروف العامة لانبثاقه

أ. إجمافلة نور الدين

جامعة الشهيد العربي بن مهيدي

### الملخص

غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م التي ضربت الولايات المتحدة و هزت العالم، راحت وسائل الإعلام الدولية تُذكر الرأي العام العالمي بثبوت نبوءة صموئيل هنتنغتون عن صدام الحضارات، و شرعت عقب خطاب جورج وولكر بوش - الذي أعلن فيه عن بدء الحرب الصليبية ضد محور الشر- بالإعلان عن بدء عصر الحروب الحضارية بعد عصر الحرب الباردة، و طفق المحللون السياسيون و المختصون في العلاقات الدولية يؤرخون بتلك الأحداث لمرحلة جديدة في العلاقات الدولية. و تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إثبات أن هذا النوع من الحروب و الصراعات ظاهرة قديمة من حيث الوقوع، و أن بداياتها الفكرية و الفلسفية كانت ما بين الحربين العالميتين و أن أطروحة هنتنغتون ليست إلا حلقة من حلقات ضمن ما كتب عن الصراع الحضاري.

### Summary

After the events of the eleventh September 2001, had hit the USA, The international media started reminding the world public opinion of Huntington prophecy speaking about civilizations conflicts. As soon as George W Bush had made his speech in which he announced the rise of the crusade war against the axis of evil by the declaration of beginning of civilizations war after the cold war era, international affair specialists started writing the events and the history of international relationship new age. This study aims to confirm that this type of wars and conflicts is an old phenomenon that started in the era between the two world wars, it also confirms that Huntington thesis investigating of one of the stages of what we call the civilizations conflicts.

## مقدمة

للظروف التاريخية التي تنبثق فيها المفاهيم والأطروحات الفكرية أهمية كبيرة في فهمها وتحليلها ونقدها، وتتبع مسارها واستشراف مستقبلها. و هنا تكمن ضرورة ربط أطروحة الحرب الحضارية أو الحرب الثقافية كما يطلق عليها الألمان، بالظروف التي انبثقت منها، لنتمكن من معرفة معانيها وأبعادها، وكذا الإدراك العميق لخلفياتها ودوافعها ومحركاتها، و الوقوف عند المفاهيم والأطروحات الموافقة أو المخالفة لها.

و الحرب الحضارية أو الحرب الثقافية - باعتبارها ظاهرة إنسانية<sup>(1)</sup> في العلاقات الدولية بين الشعوب و القبائل و الدول و الأمم و الثقافات - ليست ظاهرة جديدة أو حديثة، بل هي ضاربة بجذورها في عمق تاريخ الحضارات الإنسانية.

فقد عرف تاريخ البشرية نماذج عديدة من العلاقات بين الحضارات، تراوح بين الانعزال و الانغلاق، كما في الحضارات القديمة، و علاقة التزاوج و الإخصاب، كما شهدته الحضارة العربية الإسلامية، و علاقة الاستمرارية بمعنى الاستقبال، كما كان بين الحضارة الغربية و الحضارة الرومانية، و علاقة التسمم و هو ما تتعرض له الثقافات و الحضارات غير الغربية من قبل الحضارة الغربية<sup>(2)</sup>؛ بل لا نجافي الحقيقة بالقول إن تاريخ البشرية لم يخل من الصدامات و النزاعات، التي كان الكثير منها يرمي إلى استيعاب بعضها بعضا حضاريا و ثقافيا و لغويا و دينيا.

و في رصدنا لتاريخ أطروحة الحرب الحضارية، ستقتصر المحاولة على أهم المحطات التاريخية الحاسمة في العصر الحديث، وعلى أهم المصطلحات التي لها ارتباط وتأثير فعال في بلورة وإنتاج هذه الأطروحة، على اعتبار أن الحرب الحضارية كأطروحة و ما يرتبط بها من بديغمات العلاقات الدولية مثل نهاية التاريخ و نحن و الآخرون و صدام الحضارات و الأناركية، كلها قد تبلور في العصر الحديث.

### المرحلة الأولى: من نهاية الحرب العالمية الأولى 1919م إلى نهاية الحرب العالمية الثانية 1945م.

من المعلوم أن هذه الفترة كانت تتميز بالصراع الشديد بين الأمم الأوروبية فيما بينها، من جهة على تركة الخلافة الإسلامية أو الرجل المريض، ومن جهة ثانية بين أوروبا الاستعمارية كأمة واحدة و حضارة واحدة هي الحضارة الغربية، والأمم التي استعمرتها في

1- كونها ظاهرة إنسانية، لا يعني أنها حتمية، بل إن تاريخ العلاقة بين الحضارات و الثقافات و واقعها يشهدان بتنوع و تعدد أشكال هذه العلاقة كما بينا، و أما ما ذهب إليه البروفيسور هانتغتون من كون الصدام أو الحرب أمر حتمي، فهذا مذهب فاسد و هو تبرير للإستراتيجية الأمريكية في حربها ضد العالم الإسلامي. انظر على سبيل المثال: د. عبد الرزاق مقري، صدام الحضارات - محاولة للفهم أبعاد، أسباب و مآلات العدوان الأمريكي على الأمة الإسلامية الطبعة الأولى، (مصر، المنصورة: دار الكلمة، 2004) ص 43، 99. د. حسن النباش، صدام الحضارات: حتمية قديمة أم لوثة بشرية؟ الطبعة الثانية (سوريا، دمشق. لبنان، بيروت: دار قتيبة، 2005)، ص 7-11

2- حامد الربيع، الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني و إدارة التكامل القومي، (القاهرة: دار الوقف العربي، 1983) ص 23.

أطراف الأرض، و بخاصة الأمة الإسلامية التي كانت ممثلة بالدولة العثمانية. فقد كان الصراع على أوجه بين الإمبراطوريات الاستعمارية العتيقة كإنكلترا و فرنسا، و الإمبراطوريات و الفواعل الناشئة كدول استعمارية مثل ألمانيا و إيطاليا.

و قد احتدم الصراع و اشتد مع نهاية الحرب العالمية الأولى، و بخاصة عقب اتفاقية سيكس بيكو في 1916م، و وعد بلفور في 1917م و مؤتمر سان ريمو عام 1920م؛ تلك المؤتمرات و الاتفاقيات التي تجلت فيها نزعة التمركز و التمركز حول الذات، و تطلعت بمظهرين اثنين، الأول تمركز حضاري عام وهو نحن ( الغرب ) في مقابل الآخر (الشرق/العثماني/الإسلامي)، و الثاني تمركز قُطري خاص و هو نحن (الألمان/ الانجليز/ الفرنسيون... في مقابل بعضهم بعضا). و قد استند كل من التمركز الحضاري و القطري على ركائز تمثلت في التمركز العرقي (أوربي مقابل عثماني/عربي/فارسي، أو ألماني مقابل فرنسي) و التمركز الديني (مسيحي مقابل مسلم أو كاثوليكي مقابل بروتستانتي و أرثوذكسي) و التمركز الثقافي (مثل التمركز الديني في التقسيم)<sup>(3)</sup>.

و بحلول عام 1939م لم يكن ذلك الصراع الغربي البارد الذي تجلى في عالم الفكر و الفلسفة و الثقافة ليستمر على نفس النهج و المنوال، فانفجر كالبركان في حرب عالمية طاحنة أهلك الحارث و النسل و أفسدت الأرض، لكن و على الرغم من ذلك لم تحب نار الحرب الثقافية بين أمم أوروبا، بل كانت هي وقود الحرب الساخنة، التي كانت كلما ذوت جذوتها كان الصراع الفكري يمددها بالوقود. و قد تجسد ذلك في الحروب النفسية و الإعلامية و حروب الدعاية بين المعسكرين الغربيين.

و قد كان أول ظهور لمصطلح الحرب الحضارية أو الثقافية على يد الألمان في أيام الاشتراكية الوطنية المعروفة باسم النازية. و كانوا من الأوائل الذين شعروا بأهمية الصراع الثقافي أو الحضاري في العصر الحديث، و أدخلوا هذا الصراع في مناهجهم السياسية، بناء على خطط واعية مرسومة. و قد سمو هذا الصراع باسم "Kultur Kampf"، أي الصراع الثقافي أو الحضاري، وقد أُلِفَ في هذا الموضوع باحثون متخصصون على ما ذكره الدكتور حسين مؤنس<sup>(4)</sup>.

و "خلال الحرب العالمية الثانية صدر كتاب في ألمانيا استدعى الانتباه حينئذ، وأثار بعض الهواجس لدى المهتمين بالعلاقات الدولية و الدراسات الحضارية، وهو كتاب "الإسلام قوة الغد العالمية" مؤلفه باول شميتز<sup>(5)</sup>. وقد استقبلته الأوساط العربية و الإسلامية باعتزاز، مبشرة به، لما يتضمنه من شهادة لكاتب غربي يؤكد فيها ديناميكية الإسلام وتقدمه في المستقبل، مع أن الكاتب في الأصل كان يريد أن يلفت أنظار أوروبا المتطاحنة و المفككة آنذاك إلى الإسلام كقوة عالمية متصاعدة، من خارج حضارة الغرب، لما يتصف به الإسلام من قوة حددها الكاتب في أربعة عناصر أساسية هي:

1- الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي يتحكم في طرق التجارة العالمية و الاتصال بين القارات.

2- الزيادة السكانية وخصوبتها في هذه المجتمعات.

3- بلخيرة محمد، برديغيات العلاقات الدولية المعاصرة: المركزية الغربية نموذجاً. مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية العدد 10، جوان 2013م، ص 81-80.

4- حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثانية، ( الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب 1999)، ص 52. نقلا عن. Dawson CH : The Dynamics of Word History. London, 1975.

5- باول شميتز Paul Schmitz (1903 - 1948) كاتب و صحافي ألماني متخصص في شؤون الشرق الأوسط، بالإضافة إلى كتاب الإسلام قوة الغد العالمية له كتب مثل: تكوين العالم العربي، فرنسا في الشمال الإفريقي، موسكو و العام الإسلامي، الثورة العربية، و غيرها. انظر: [http://de.wikipedia.org/wiki/Paul\\_August\\_Schmitz](http://de.wikipedia.org/wiki/Paul_August_Schmitz)

3- الثروات الطبيعية و الزراعية.

4- الطاقة الروحية و المعنوية التي يمتلكها الإسلام كوحدة فكرية لهذه الأمم.

و ختم المؤلف كتابه في الأسطر الأخيرة منه، بكلام ينذر بالصدام، إذ يقول أن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا، وهتاف يجوب آفاقها، يدعو إلى التجمع و التساند الأوروبي، لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو و ينفض النوم عن عينيه، ثم يعقب الكاتب: "هل يسمعه أحد؟ ألا من مجيب؟"<sup>(6)</sup>.

### المرحلة الثانية: من نهاية الحرب العالمية الثانية 1945 إلى تفكك الاتحاد السوفيتي 1989م.

اتفقت كلمة أغلب الدارسين أن هذه الفترة هي فترة الحرب الباردة، و على الرغم أن هذا المصطلح وضع لوصف حالة الصراع السياسي والتوتر العسكري، بين المنتصرين في الحرب العالمية الثانية و هما قطبا الحرب الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفيتي، إلا أن المتأمل في طبيعة هذا الصراع يجده صراعا ثقافيا و لكن داخل منظومة حضارية واحدة هي المنظومة الغربية أو كما يسميها المفكر الجزائري مالك بن نبي (رحمه الله) محور موسكو - واشنطن.

و لقد كان أخطر ما في هذه الحرب التي سميت زورا بالحرب الباردة أنها كانت ساخنة على بقية شعوب العالم، و كانت محل صراع ثقافي و حضاري بين المتنافسين في محور موسكو - واشنطن على إبادة بقية ثقافات و حضارات العالم، و ذلك بسعي كل طرف لاستقطاب بقية الشعوب و المجتمعات إلى إيديولوجيته. و قد برز هذا الصراع في كتابات كثير من المفكرين في هذه الفترة و من مختلف الحضارات.

ففي المجال الحضاري الغربي، "في عام 1947 ألقى أرنولد توينبي<sup>(7)</sup> محاضرة بعنوان الصراع بين الحضارات، وقد أعيد نشرها في مجلة (هاربر) لعدد إبريل 1947، ثم تم تضمينها في كتابه الموسوم بـ الحضارة في الميزان (CIVILIZATION ON TRIAL)، و قد اعتبر الدارسون هذه المحاضرة نصاً ثميناً مرجعياً في الوقت الحالي. فعلى الرغم من أفكارها البسيطة، فقد بنى عليها هانتغتون نصه في المقال الذي نشر في مجلة FOREIGN AFFAIRS وأحدث ردوداً لم تنته بعد، وأعاد صياغتها في كتابه الذي أصدره لاحقاً THE CLASH OF CIVILIZATIONS، والذي أخذ أبعاداً عالمية وتحول إلى ظاهرة<sup>(8)</sup>، و الذي يأتي ذكره في المرحلة الموالية.

6- انظر: بول شمتز، الإسلام قوة الغد العالمية، ترجمة د. محمد شامة. الطبعة الأولى. (القاهرة: مكتبة وهبة، 1971 م) ص 324.

7- أرنولد جوزيف توينبي (1889 - 1975) مؤرخ بريطاني. يُعتبر أحدث وأهم مؤرخ بحث في مسألة الحضارات بشكل مُفصّل وشامل، ولاسيما في موسوعته التاريخية المُعنونة "دراسة للتاريخ" التي تتألف من 12 مجلداً أنفق في تأليفها 41 عاماً. وهو يرى، خلافاً لمُعظم المؤرخين الذين يعتبرون الأمم أو الدول القومية مجالاً لدراسة التاريخ، أن الحضارات الأكثر اتساعاً زمناً ومكاناً هي المجالات المعقولة للدراسة التاريخية. وهو يفرّق بين المجتمعات البدائية والحضارية؛ وهذه الأخيرة أقل عدداً من الأولى، فهي تبلغ واحداً وعشرين مجتمعاً اندثر مُعظمها، ولم يبقَ غير سبع حضارات تمرّ ستّ منها بدور الانحلال، وهي: الحضارة الأرثوذكسية المسيحية البيزنطية، والأرثوذكسية الروسية، والإسلامية، والهندوكية، والصينية، والكورية-اليابانية؛ أمّا السابعة، أي الحضارة الغربية، فلا يُعرف مصيرها حتى الآن. ويُفسّر توينبي نشوء الحضارات الأولى، أو كما يُسمّيها الحضارات المُنقطعة، من خلال نظريته الشهيرة الخاصة بـ"التحدّي والاستجابة"، التي يعترفُ بأنّه استلهمها من علم النفس السلوكي.

أرنولد توينبي <http://ar.wikipedia.org/wiki/>

8 - غازي دحمان: صراع الحضارات في سجاله وتجلياته. <http://www.islamweb.net> 2003/03/15

وبالعودة إلى الأفكار الرئيسية التي قدمها توينبي في محاضراته الرائدة في مجال العلاقة بين الحضارات و المجتمعات و الأمم، نجد أنه اعتبر أنّ الحادثة الكبرى والأهم في القرن العشرين، والتي سيقف عندها المؤرخون كثيراً في القرون القادمة هي حادثة اصطدام الحضارة الغربية بسائر المجتمعات الأخرى القائمة في العالم، و هو ما تعيشه الإنسانية بالفعل، و لكن كاستراتيجية غربية و ليس كحتمية طبيعية.

وتتبع أهمية هذا الحدث في رأي توينبي من أنه الخطوة الأولى نحو توحيد العالم في مجتمع واحد، وذلك عن طريق تحطيم التراث الاجتماعي الإقليمي للحضارات الأخرى عند اصطدامها بالتراث الاجتماعي الغربي، وإن نوعية و فرادة هذا التوحيد الاجتماعي للعالم لا تكمن أو تتمثل في ميدان الفنون الصناعية والاقتصادية، ولا في ميدان الحرب والسياسة، وإنما تتمثل في ميدان الدين.

ويتابع أنّ الديانات الأربع الكبرى ذات الرسالة العالمية التي تقوم اليوم في العالم: المسيحية، الإسلام، والهندوسية، والبوذية الماهايانية التي تسود في الشرق الأقصى، هي من الناحية التاريخية ثمرة الصراع الذي دار بين الحضارة اليونانية . الرومانية ونظيراتها المعاصرة.

إذاً ينظر توينبي إلى تاريخ الحضارات على أنه صراع بين الحضارات، وأن هذه الحضارات إنما تقوم على الدين كمعتقد رئيسي ومرجع أساسي في قيام الحضارة<sup>(9)</sup>.

و في المجال الحضاري الإسلامي تجدر الإشارة إلى أن المفكر الجزائري مالك بن نبي (رحمه الله)، كان في هذه المرحلة من التاريخ من المفكرين المسلمين الأوائل الذين بحثوا في مسألة التدافع والصراع بين الحضارات، وقد أدرج جميع مؤلفاته تحت شعار "مشكلات الحضارة"، وفيها عالج مسألة الصراع بين الحضارات، وبخاصة بين الحضارة الغربية في شكلها الاستعماري والعالم الإسلامي، وقد اختار مصطلح (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة) ليعين و يبرر من خلاله الأسلوب الذي يدير به الاستعمار صراعه ضد البلاد المستعمرة، و بخاصة ضد العالم الإسلامي<sup>(10)</sup>.

و قد عالج بن نبي هذه المسألة في جل كتبه بدءاً من شروط النهضة و وجهة العالم الإسلامي، إلى الصراع الفكري في البلاد المستعمرة و مشكلة الثقافة و غيرها.

وفي غمار البحث عن الجذور التاريخية لمصطلح الحرب الحضارية، لا يجب أن نهمّل كتابات المستشرق الأمريكي اليهودي الأصل المعروف برنار لويس<sup>(11)</sup> (Bernard Lewis) الذي ساهم بقسط وافر في إشاعة فكرة صدام الحضارات، و خاصة ضد الإسلام.

ففي شهر أوت سنة 1957م، عقب أزمة قناة السويس، ابتدع عبارة "صدام الحضارات" في ملتقى حول التوترات في الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكينز (Johns-Hopkins) بواشنطن .

9- غازي دحمان: صراع الحضارات في سجله وتجلياته. م س.(مرجع اليكتروني غير مرقم بالصفحات)

10- انظر على سبيل المثال كتابه: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. الطبعة الثالثة(الجزائر ، دمشق : دار الفكر، 1988) ص- ص 63.

11- مستشرق و مؤرخ يهودي له ثلاث جنسيات إنجليزي و أمريكي و إسرائيلي ولد في لندن عام 1916 م . يتكلم ثمان لغات منها العربية و الفارسية و التركية له العشرات من الكتب والدراسات حول الإسلام و كلها طعن فيه و تحريض ضده. اتسمت آراؤه بالسلبية تجاه العرب والمسلمين، حيث عزى تأخرهم عن أوروبا لأسباب ثقافية ودينية. كما رأى بأن العالم الإسلامي في حالة صراع مستمرة مع المسيحية وإن فترات السلم ليست إلا استعداد لفترات حرب قادمة. انظر:

برنار\_لويس/http://ar.wikipedia.org/wiki/

و بحسب رأيه فإن الاستياء الحالي لشعوب الشرق الأوسط، يُدرك أفضل حينما ندرك بأنه ليس نتيجة لنزاع بين الدول و الأمم، و لكن نتيجة للصدام بين حضارتين<sup>(12)</sup>.

و بالعودة إلى المجال الحضاري الإسلامي وتحديدًا بعد هزيمة 1967 نشأ في العالم العربي نوع من الكتابات في النقد الذاتي ركز على البعد الحضاري في المواجهة بين العرب وإسرائيل، واعتبرت الهزيمة ليست مجرد هزيمة عسكرية وسياسية، بل هي في المقام الأول هزيمة حضارية<sup>(13)</sup>، و من هنا يمكن القول أن الهزيمة الحضارية لا تكون إلا نتيجة لحرب حضارية أو صراع حضاري، ويقابل الهزيمة الحضارية النصر الحضاري الذي يتحقق بالمقاومة الحضارية أو المواجهة الحضارية.

و بالانتقال إلى أوروبا و بالتحديد إلى فرنسا، نجد أنه في أواخر السبعينيات كان الفيلسوف الفرنسي روجي (رجاء) غارودي (Roger Garaudy) قد دعا إلى الحوار بين الحضارات لتحقيق السلام العالمي بدل الصراع، و اعتبر أن فكرة حوار الحضارات تخارب التوقع حول الأنا الضيقة، وتركز اهتمامها على الحقيقة الفعلية للأنا، باعتبارها قبل كل شيء علاقة مع الآخر وعلاقة مع الكل<sup>(14)</sup>.

و إذا كانت نظرية حوار الحضارات تنتمي إلى النزعة الإنسانية والأخلاقية التي ترفض النظر للبشر من خلال معايير اللون أو العرق أو اللغة واللسان أو الثروة... فإن وجودها بذاته يدل على وجود ما يناقضها في الواقع الدولي، ألا وهو صدام الحضارات وصراعها الذي يدعو غارودي إلى نبذه<sup>(15)</sup>.

و عودا للعالم الإسلامي، نجد المفكر المستقبلي المغربي المهدي المنجرة<sup>(16)</sup> من أوائل من تنبهوا إلى الدور المركزي للهوية الثقافية في تحديد طبيعة ومصادر الصراعات الدولية المقبلة، ففي عام (1979) تم نشر تقرير "نادي روما" الذي شارك في إعداده، وذلك تحت عنوان "من المهد إلى اللحد"، حيث أعلن التقرير أن :

"الهوية الثقافية تشكل مصدرا متناميا للنزاعات الاجتماعية والدولية، فهي تشكل على المستويين الوطني والدولي، واحدة من أهم الحاجات النفسية غير المادية، ويمكن أن تكون مصدرا من مصادر الصراع المتزايد في داخل المجتمعات، وبين مجتمع وآخر، فنحن نواجه صراعا جديا في مجال القيم... و يوجد نوع من التحمل، ولكن يوجد تقبل صاف أو ترحيب مخلص بقيم الجنوب، ذلك لأنه لا يوجد جهد جاد لمحاولة فهمه"<sup>(17)</sup>.

12-« Bernard Lewis : *l'orient et moi* » [archive], Le Point, 17 janvier 2007. <http://www.lepoint.fr/actualites-chroniques/2007-01-17/bernard-lewis-l-orient-et-moi/989/0/17832>

13- السيد ياسين، قضية التحدي الحضاري بين العرب وإسرائيل، مجلة فكر ونقد (موقع الجابري)، [http://www.aljabriabed.net/n04\\_02yassine.htm](http://www.aljabriabed.net/n04_02yassine.htm).

14- انظر كتابه: *في سبيل حوار حضارات*. الطبعة الرابعة. تعريب عادل العوا، (لبنان بيروت: دار عويدات للنشر و الطباعة 1999). ص 216.

15- زكي المبلاد و آخرون، *تعارف الحضارات*، الطبعة الأولى (بيروت: دار الفكر المعاصر، 2006)، ص 35.

16- الدكتور المهدي المنجرة (1933 - 2014) مفكر مغربي تلقى دراسته الجامعية بالولايات المتحدة و بريطانيا. كتب في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، أكثر من 600 مقال و عدة مؤلفات، و بخاصة في الدراسات المستقبلية. المهدي المنجرة <http://ar.wikipedia.org>

17- المهدي المنجرة، *حوار التواصل*، مجلة عالم التربية، عدد 1، 2007، ص 46.

وفي مقابلة مع صحيفة لوموند (Le Monde) الفرنسية سنة 1979 تحدث عالم الاجتماع أنور عبد المالك<sup>(18)</sup> عن جدلية الحضارات وهشاشة النموذج الحضاري البروميثي<sup>(19)</sup> للمجتمعات البورجوازية الغربية، حيث أوضح أن الغرب قد وصل إلى الحد الأقصى فيما يخص مشروعه لتحويل الإنسان إلى سيد الطبيعة والذي يقترح إنتاجا غير محدود، موجه لاستهلاك يتوخى المتعة واللذة كغاية نهائية " وفي الوقت الذي نشهد فيه بحثا جادا عن القيم والمثل، فإن سماء الغرب تبدو جرداء... إن الجدلية غير التصارعية بين الحضارات يمكن أن تؤدي إلى التكامل والثراء المتبادل وكثيرا من الأمن الجماعي"<sup>(20)</sup>.

و إمعانا في التأكيد على تداولية موضوع صراع الحضارات لدى مختلف الأمم نذهب بعيدا إلى اليابان فنجد أنه في سنة 1988 صدر تقرير عن المعهد الياباني لتطوير الأبحاث نيرا (NIRA) بعنوان: "مذكرة يابان التسعينيات" وجاء في مقدمته ما يلي:

" لم يعد ملائما النظر إلى العالم من زاوية القطبية العسكرية، أي السلام الروسي الأمريكي، بل أصبح من الضروري رؤية العالم بشكل مخالف والتخلي عن رؤية النظام العالمي، الذي طالما تم الدفاع عنه وتأسيسه على ترسبات بأوامر من الأمريكيين، ويمكن تسميته النظام العالمي الجديد عصر الحضارات المختلفة القائم على انبثاق عصر تعايش حضارات متعددة"<sup>(21)</sup>.

و المتأمل في مقدمة هذه المذكرة، يلحظ بكل وضوح و دون عناء، الدعوة إلى التعايش بين الحضارات، و هاهنا يمكن القول، إن كل هذا الزخم الفكري و الثقافي المتنوع بين الحضارة الغربية و الحضارة الإسلامية و اليابانية، و المتعدد من حيث البعد الديني بين اليهودية و المسيحية و الإسلام و البوذية و الشنتوية(اليابان) ، ليدل دلالة قاطعة على حضور الصراع الحضاري بقوة في واقع المجتمع العالمي، و على تجسده في العلاقات الدولية، قبل أن يكون أفكارا مجردة في أذهان المفكرين و الفلاسفة، أو كلمات مسطرة في أوراقهم و كتبهم.

### المرحلة الثالثة: من سنة 1989 م إلى أحداث 11 سبتمبر 2001 م

لقد كان يوم 09 نوفمبر 1989 اليوم الذي سقط فيه جدار برلين يوما تاريخيا، ليس فقط بالنسبة لألمانيا الذي توحدت فيه من جديد، و لا حتى لأوروبا بأسرها الذي التأم فيه شملها، بل كان تاريخيا لكل الغرب على محور موسكو - واشنطن؛ فهو يوم تصالح الغرب فيه مع ذاته و أنهى حقبة الحرب الباردة، و هو تاريخ بزغ فيه عصر جديد على الساحة الدولية، فمنه أعلن فرنسيس فوكوياما

18- أنور إسكندر عبد الملك (1924- 2012) كاتب صحفي ومفكر يساري مصري. حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع ودكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون بفرنسا. من أعماله: المجتمع المصري والجيش وترجم تحت عنوان مصر... مجتمع يبينه العسكريون و الفكر العربي في معركة النهضة و الإبداع والمشروع الحضاري و غيرها. انظر: أنور عبد المالك [http://www.marefa.org/index.php/عبد\\_المالك](http://www.marefa.org/index.php/عبد_المالك)

19- نسبة إلى بروميثيوس (Prométhée) الذي حسب الأسطورة اليونانية قام بسرقة النار رمز المعرفة من السماء و حملها للإنسان، و عاقبه زيوس بتقييده في جبل، حيث تأكل النور كبدته التي تتوالد باستمرار و سيقوم هيراقليس بتحريره، و بروميثيوس مع فاوست و فرنكنشتاين هم رموز للعلم و المعرفة حين تتجاوز كل الحدود من دون اعتبار للشرط الإنساني و بشكل لا يخدم الإنسانية. انظر:

[http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display\\_term&id=15641&m=1](http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=15641&m=1)

20- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام. الطبعة الأولى (لبنان: بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، ص 83.

21- محمد سعدي، ن م، ص 83.

نهاية التاريخ و انتصار الأيديولوجية الرأسمالية، و راح برنار لويس و تلميذه صموئيل هنتنغتون يعلنان عن انبثاق عصر صدام الحضارات و حرب الثقافات، و عشية ذلك التاريخ بدأ عصر هيمنة القطبية الأحادية ليس فقط على العلاقات الدولية، بل على العلاقات الحضارية، وهو ما كشف عنه المنجرة بعد ذلك في الحرب الحضارية الأولى حينما أعلنت أمريكا الحرب على العراق فيما سمي حرب تحرير الكويت، و ذلك ما سنشير إليه تاليا.

يمكن الحديث عن بواكير الأعمال التنظيرية للحرب الحضارية في هذه المرحلة بالمقالة التي نشرها فرانسيس فوكوياما في عام 1989، في المجلة الأمريكية (المصلحة القومية) The National Interest بعنوان "نهاية التاريخ؟"، ثم حولها إلى كتاب عام 1992 تحت عنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" طور فيه تحليلاته وفرضياته، وعززها بنسق من الأفكار الفلسفية والسياسية لمنح أطروحته مزيداً من الصدقية والواقعية، وقد أثارت فكرة نهاية التاريخ حوارات و سجالات واسعة في الأوساط الفكرية والأكاديمية العالمية بشكل أثار اندهاش فوكوياما نفسه. وهي بمثابة بيان أول تعلنه الليبرالية،<sup>(22)</sup> وهي تجدد نفسها وتزعم استئناف مشروعها، وحيدة هذه المرة لا ينازعها أي جبار آخر أيديولوجي أو عسكري أو سياسي<sup>(23)</sup>.

و يذهب الكثير من الدارسين إلى أن أطروحة نهاية التاريخ الفوكويامية هي من أهم الأطروحات التي أذكت روح الحرب الحضارية، إن في مجال التنظير أو مجال الواقع، و ذلك لكونها تنتمي إلى نظريات الصراع في العلاقات الدولية<sup>(24)</sup>، و لكونها ذات علاقة وطيدة بمؤسسات ودوائر صناعة القرار في أمريكا، فصاحبها ليس بالمفكر الخايد أو الموضوعي، وإن تجلب بجلباب الأكاديميين.

لفترة طويلة اعتُبر واحداً من منظري المحافظين الجدد (Néo-Conservatives)، حيث أسس هو ومجموعة من هؤلاء في عام 1993 مركزاً للبحوث عرف آنذاك بمشروع القرن، وقد دعا هو ورفاقه الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون إلى ضرورة التخلص من نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين. وقد وقع على خطاب مماثل وجهه إلى الرئيس السابق جورج بوش في أعقاب أحداث 2001/09/11.

وقد رأى بعض ناقدتي فوكوياما أن هذا الأخير بأطروحته أراد أن يدعم إعلان رئيسه جورج بوش الأب عن النظام العالمي الجديد بالوثيقة الفكرية التي خيل إليه أنها تؤسس شبكة التنظير القادم لعصر ما بعد نهاية النهاية التاريخ<sup>(25)</sup>.

و غير بعيد عن زمان أو مكان أو المجال الحضاري لفوكوياما، نجد أنه في في سبتمبر 1990 كتب المستشرق برنار لويس مقالة تحت عنوان "جذور السخط الإسلامي" «The Roots of Muslim Rage» وجاء فيها ما يلي:

22- الليبرالية هي الاسم السياسي الذي اتخذته تيارات الفكر المنفعي الذي طبع الثقافة الأنجلوسكسونية منذ منعطف الحداثة حتى أيام التداولية (البراغماتية) انظر:

سهيل عروسي، مآزق الليبرالية: نهاية التاريخ. نموذجاً، في: <http://www.reefnet.gov.sy/booksproject/fikr/15/5-library.pdf>

23- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير. تر فؤاد شاهين و آخرون. الطبعة (د)، (لبنان، بيروت مركز الإنماء القومي، 1993، من مقدمة مطاع صفدي للكتاب، ص 6.

24- جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف. النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ترجمة وليد عبد الحي، الطبعة الأولى (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، 1985)، ص 225.

25- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، م س، ص 17.



"ينبغي أن يكون واضحاً الآن، أننا نواجه شعوراً وحركة يتجاوزان كثيراً مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تجسدها، ولا يقل هذا عن كونه صداماً بين الحضارات. و إنه رد فعل غير عقلائي ولكنه مرتبط بخضم قديم لتراثنا اليهودي المسيحي، ولما نحن عليه في الحاضر، وضد توسعهما معا. و من جانبنا، من المهم جداً أن لا نسقط أيضاً في رد الفعل غير العقلاني والمتأصل في التاريخ ضد هذا الخصم" (26).

وقد أثارت هذه المقالة ضجة كبيرة في حينها، ويؤكد لويس فيها وفي غيرها من المقالات والمحاضرات والكتب، بأن كراهية المسلمين للغرب سببها الرئيسي هو رفضهم للقيم الغربية بل و اعتبارها خطراً يهدد قيم الإسلام ونمط حياة المسلمين و يؤكد أن أن غضب المسلمين من أمريكا خاصة، لأنها وريثة الغرب (27).

ويزعم لويس أن المسلمين يعيشون تحت وقع عدة إحباطات متتالية، تتجسد في فقدانهم للنفوذ العالمي لصالح الغرب (الخيار الإمبراطورية العثمانية) وفي اكتساح القيم الغربية المتزايدة للعالم الإسلامي (28). كما و يعتقد أن الصراع العربي الإسرائيلي، صراع حضاري (29). وفي جل كتاباته يركز لويس على فكرة وجود صدام ثقافي بين الغرب من جهة والعرب والمسلمين من جهة ثانية (30).

وفي عام 1999 يعود برنارد لويس في مقال له، إلى هذا الموضوع "المثير للجدل في الوقت الراهن" على حد قوله، مفصلاً و مدققاً: "كل من درس التاريخ يعلم أنه قد وجدت حضارات على هذا الكوكب و ما تزال، و كل الناس أو أغلبهم تقريباً يتفقون على الاعتقاد أن بينها اختلافات كبيرة، و تدخل أحياناً في صراع. ولكن القول بأن الحضارات تؤدي إلى سياسة أجنبية، وتسبب الحرب و تبرم السلام، يبدو لي مقولة خاطئة. و هذا ما رأيته من استقراء حالة معينة - الصراع بين الإسلام والمسيحية - والتي ألمحت إليها في وقت سابق" (31).

و في العالم الإسلامي يعتبر المنجرة من الأوائل الذين تحدثوا عن صدام الحضارات، بعد الحرب الباردة، وذلك في مقابلة مع المجلة الألمانية دير شبيغل (Deir Spiegel) في 1991/02/11، أثناء حرب الخليج الثانية التي يطلق عليها الحرب الحضارية الأولى. وفي هذه المقابلة اعتبر المنجرة أن هذه الحرب هي حرب ذات منحنى حضاري، يتصارع فيها عالمان مختلفان. وفي السنة نفسها نشر كتاباً تحت عنوان "الحرب الحضارية الأولى : مستقبل الماضي وماضي المستقبل" والذي ترجم فيما بعد إلى العديد من اللغات، منها الفرنسية والإنجليزية واليابانية. و بذلك فهو من أوائل من وضعوا مصطلح الحرب الحضارية للدلالة على غزو أمريكا للعالم الإسلامي استناداً إلى البعد الثقافي.

26- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام، م س. ص 85.

27- بهجت قرني و آخرون، صناعة الكراهية في العلاقات العربية -الأمريكية. تحرير و تقديم أحمد يوسف أحمد و ممدوح حمزة. الطبعة الثانية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 2004)، ص 33.

28- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام م س، ص 85.

29- صحيفة هآريتش 2001/03/22، والقدس العربي 2001/03/23.

30- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام م س، ص 85.

31- انظر موقع: [http://fr.wikipedia.org/wiki/Bernard\\_Lewis#cite\\_note-18](http://fr.wikipedia.org/wiki/Bernard_Lewis#cite_note-18)

وقد أولى المنجرة القيم الثقافية والتواصل الثقافي أهمية كبيرة كمكونات حيوية في العلاقات الدولية، حيث ركز اهتمامه على التفاعلات الثقافية في مضمونها القيمي، ليستخلص تأثيرها الديناميكي في مجالات التاريخ والاقتصاد والسياسة والشؤون الدولية، وبالنسبة إليه فإن رهان التنوع الثقافي هو مفتاح البقاء مستقبلاً<sup>(32)</sup>.

وفي سنة 1991 ظهرت مقالة ذات أهمية بالغة بمجلة (شؤون دولية) الأمريكية للباحث البريطاني بيري بوزان<sup>(33)</sup> Barry Buzan وهو من الأوائل الذين طرحوا فكرة الصدام "الحضاري" مع الإسلام في هذه المرحلة، وذلك في مقال نشره بعنوان "السياسة الواقعية في العالم الجديد: أنماط جديدة للأمن العولمي في القرن الواحد والعشرين"<sup>(34)</sup> ويعرف بيري بمقالته قائلاً: "هذه مقالة نظرية وهي تحاول أن ترسم الخطوط العامة للنمط الجديد لعلاقات الأمن العالمي التي بدأت تتشكل بعد التحولات الكبرى التي طرأت في عام 1989 وعام 1990 وفي أزمة الخليج، وهي الأزمة الأولى في فترة ما بعد الحرب الباردة، وتحاول المقالة أن تحدد النتائج المحتملة للتغيير الذي حصل في ما كان يسمى علاقات الشرق والغرب وتأثيرها في ظروف الأمن وفي جدول أعمال ما كان يسمى بالعالم الثالث"<sup>(35)</sup>.

وفي هذه المقالة يقسم بيري العالم إلى مراكز وأطراف<sup>(36)</sup>، ويولي أهمية بالغة لما يسميه بالأمن الاجتماعي في العلاقة بين المراكز والأطراف، ويتعلق الأمر بالأخطار ونقاط الضعف التي تؤثر في أنماط هوية المجتمعات وثقافتها، حيث يعتبر الهجرة والتصادم بين الهويات الحضارية المتنافسة قضيتين حاسمتين في تحديد مستقبل التطورات الدولية وفي هذا يقول: "إذا اجتمع خطر الهجرة وخطر تصادم الثقافات، أصبح من السهل وضع تصور لنوع من الحرب الباردة الاجتماعية بين المركز و جزء من الأطراف على الأقل، ولاسيما بين الغرب والإسلام..."<sup>(37)</sup> إذن فهو يؤكد على وجود بوادر ما عبر عنه بالحرب الباردة الحضارية بين الغرب والإسلام، وهذه الحرب

32- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أسنة الحضارة و ثقافة السلام، ص 82.

33- باري بوزان غوردون Barry Gordon Buzan (ولد في 1946) هو أستاذ العلاقات الدولية في كلية لندن للاقتصاد وأستاذ فخري في جامعة كوبنهاغن وجامعة جيلين. رسم بوزان النظرية الأمنية المعقدة في عام 1983 وطبقها على دراسات في وقت لاحق من مؤلفاته:

- الناس والدول والخوف : الأمن القومي مشكلة في العلاقات الدولية.- مقدمة للدراسات الاستراتيجية : التكنولوجيا العسكرية والعلاقات الدولية (1987)  
- إعادة صياغة النظام الأمني الأوروبي : سيناريوهات لحقبة ما بعد الحرب الباردة (1990)- منطق الفوضى : الواقعة الجديدة إلى الواقعية الإنشائية (1993) - الأسلحة الحيوية في عالم السياسة الدولية (1998) مع أريك الرنغ-النظم الدولية في تاريخ العالم : إعادة تشكيل لدراسة العلاقات الدولية (2000) مع ريتشارد ليتل - المناطق والدول : بنية الأمن الدولي (2003) مع Waever اولي- من المجتمع الدولي إلى العالم : نظرية مدرسة اللغة الإنجليزية والهيكل الاجتماعي للعولمة (2004)- الولايات المتحدة والقوى العظمى : السياسة العالمية في القرن الحادي والعشرين (2004) انظر: [http://www.wikipedia.org/wiki/Barry\\_Buzan](http://www.wikipedia.org/wiki/Barry_Buzan)

34- نشر في: New Word realpolitik: New patterns of global Security in the twenty first Century. (International Affaires. Vol 67. No 3. July 1991).

35- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة - صراع الحضارات - العودة إلى الأخلاق - التسامح - الديمقراطية و نظام القيم - الفلسفة و المدينة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997) ص- ص 87-91. |

36- المركز لدى بوزان هو تلك الكتلة من الدول ذات الاقتصادات الرأسمالية المسيطرة على العالم، أما الأطراف فهي مجموع الدول الضعيفة اقتصاديا و سياسيا و المرتبطة بالمراكز. انظر بلخيرة محمد، يرديغيات العلاقات الدولية المعاصرة: المركزية الغربية نموذجاً. م س، ص 80.

37- محمد عابد الجابري، م س، ص 91، 90.

ستعوض الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وستساهم في تعزيز وتقوية الهوية الغربية، وهذه الحرب هي ناتجة حسب الكاتب عن الجوار الجغرافي، والتعارض بين القيم الدينية والعلمانية، والتنافس التاريخي بين المسيحية والإسلام، وعدم قبول المسلمين قوة الغرب<sup>(38)</sup>.

وهكذا فبعد أن فرغ الكاتب من تحديد أهم سمات النظام "الأممي" الذي ساد في القرن العشرين خلص إلى أن الصدام "الحضاري" سيكون في نظره، في القرن الحادي والعشرين، "أوضح ما يكون بين الغرب والإسلام"، مبررا ذلك بجملة عوامل: عوامل ثقافية ترجع إلى "وجود تعارض بين القيم العلمانية السائدة في الغرب وبين القيم الإسلامية، ووجود تنافس تاريخي بين المسيحية والإسلام" الخ، وعوامل نفسية مثل "غيرة المسلمين من قوة الغرب"، إضافة إلى عامل جغرافي يتمثل في الجوار وما ينتج عنه من احتكاك واتصال، خصوصا "المهجرة إلى الشمال" في العصر الحاضر... ويأتي صمويل هنتغتون ليتبنى نفس الأطروحة و يواصل تطوير المشروع الذي بدأه أستاذه اليهودي برنار لويس<sup>(39)</sup>.

ففي سنة 1993، نشر هنتغتون مقالته عن صدام الحضارات في المجلة الفصلية الأمريكية الشهيرة "شؤون خارجية". ثم طورها و حولها إلى كتاب صدر عام 1996، حيث قام بتوضيح وتطوير فرضياته وأفكاره، وتدعيمها بمجموعة من المعطيات الجديدة. و قد أثارت أطروحته جدلا كبيرا على المستوى الفلسفي والديني والسياسي، واستقطبت اهتماما متميزا عند الباحثين من خلال مجموعة من الحوارات والندوات والملتقيات.

وبحكم وظيفة هنتغتون ومسؤوليته على قسم التحليل والاستشراف بمجلس الأمن القومي الأمريكي، واعتياده على تقديم تقارير ودراسات واستشارات إلى الدوائر الرسمية والإستراتيجية في الولايات المتحدة، فإن الدراسة التي كانت نتاج لمشروع معهد أولين (OLIN)<sup>(40)</sup> حول بيئة الأمن المتغيرة والمصالح الوطنية الأمريكية، جاءت في إطار بناء رؤية مستقبلية للسياسات العالمية لما بعد الحرب الباردة. وهي تعكس بوضوح بعض الاتجاهات داخل دوائر التفكير الإستراتيجي في الولايات المتحدة والغرب بصفة عامة في المرحلة الآتية، والتي اعتبرت أن هذه الأطروحة هي أول محاولة جدية ملء الفراغ النظري الذي يفلسف سياسة ما بعد الحرب الباردة ويقدم إطارا عقائديا لها.

وينبغي الإشارة إلى أن كل المساهمات التي سبقت هنتغتون على الرغم من أهميتها وجدارتها بعضها بالريادة والتبني، إلا أنها لم تثر نفس الاهتمام الذي أثارته أطروحة هنتغتون. وأسباب ذلك عديدة، منها مكانة صاحبها في مجلس الأمن القومي الأمريكي، ومنها كونها تعكس بعض الاتجاهات داخل دوائر التفكير الإستراتيجي في الولايات المتحدة، وأخيرا وليس آخرا، تسليط الأضواء الإعلامية عليها وعلى صاحبها، حتى إذا ما جاءت أحداث 2001/09/11، صارت تلك الأطروحة بمثابة النبوءة التي لا يجرؤ على تكذيبها أحد، وأصبحت القدر المحتوم الذي لا مناص من الخضوع له.

38- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام م س، ص 85.

39- محمد عابد الجابري، الحرب سرطان الحضارة الغربية، في موقعه الخاص. [http://www.aljabriabed.net/cancerguerre\\_occid.htm](http://www.aljabriabed.net/cancerguerre_occid.htm)

40- أولين هي مؤسسة للدراسات الإستراتيجية في شؤون الأمن القومي الأمريكي. أنشئت أساسا لتقديم المنح الأمريكية في عام 1953 من قبل جون م أولين، رئيس أولين للصناعات الكيماوية والذخائر. [http://www.wikipedia.org/wiki/John\\_M.\\_Olin\\_Foundation](http://www.wikipedia.org/wiki/John_M._Olin_Foundation)

وقد حظيت هذه الأطروحة بأهمية إستراتيجية كبيرة، حتى أنه تم تشبيهها ومقارنتها بالمقالة الشهيرة لجورج كينان (George Kennan)<sup>(41)</sup> والتي نشرت بفصلية (شؤون خارجية) في صيف 1947 تحت عنوان مصادر السلوك السوفيتي، والتي شكلت المنظومة المرجعية الأساسية للإستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة الأمريكية في إطار ما سمي بسياسة الاحتواء، وذلك أثناء الحرب الباردة ومواجهة المد السوفيتي.<sup>(42)</sup>

### المرحلة الرابعة: من أحداث 11 سبتمبر 2001 م إلى الآن.

ليس ثمة شك في أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 كانت نقطة تحول مهمة بالنسبة للعلاقات الدولية شغلت الرأي العام العالمي، فقد أعادت الحديث من جديد عن صراع الثقافات و صدام الحضارات الذي حذر منه كثير من المفكرين و السياسيين من مختلف الحضارات، و بشر به لفيف من المنظرين الأمريكيين في مجال العلاقات الدولية و السياسة الخارجية لأمريكا، أمثال برنار لويس و صمويل هنتنغتون و باري بوزان و فرنسيس فوكوياما و غيرهم. كما أن هذه الأحداث كانت محطة تاريخية نادرة للسياسة الأمريكية تجاه العالم، حيث عملت إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن، التي كان يسيطر عليها تيار المحافظين الجدد، على استغلالها وتوظيفها لتعزيز الهيمنة الأمريكية على العالم، وإعادة صياغة النظام العالمي وفق أسس ومبادئ جديدة في العلاقات الدولية تخدم المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى، كان أبرزها إعلان حروب وقائية تشنها الولايات المتحدة في أي مكان في العالم ترى فيه تهديداً لأمنها، حسب زعمها، واستخدام كل الوسائل بما فيها التدخل العسكري وتغيير الأنظمة السياسية القائمة، واستحداث قيم أخلاقية تصنف الدول على أساس الخير والشر، وتكريس قاعدة: "من ليس معنا فهو ضدنا"<sup>(43)</sup>.

و قد استُغلت تلك الأحداث أيما استغلال من قبل الساسة الأمريكيين، واتجه الفكر و السياسة الأمريكية نحو إطلاق أحكام أخلاقية ذات طابع ديني، منها على سبيل المثال استخدام بوش الابن مفهوم الحرب الصليبية، وذلك في محاولة لتبرير شن الحرب واستخدام القوة العسكرية، والإصرار على تبرير الحرب على العالم الإسلامي باعتبارها ضرورة أخلاقية تصل إلى مرحلة القداسة الدينية، للرد على العنف والكرهية الذي تمثله القوى الشريرة بزعمهم مثل بن لادن و صدام حسين، وذلك نقيض للفكر الأمريكي الذي كان سائداً قبل أحداث 11 سبتمبر والذي كان يحاول تبرير الحروب على أساس مبادئ الحرية والديمقراطية والمصالح التي تمثل أساس الحضارة الغربية.

41- جورج فورست كينان George F. Kennan ولد في 1904م و مات في 2005) كان ولسنوات عضواً في قسم الشؤون الخارجية للولايات المتحدة. و كُخططٍ للسياسات الخارجية في أواخر الأربعينيات والخمسينيات، ولقد أُعتبر "مهندس" الحرب الباردة بدعوته لاحتواء الاتحاد السوفيتي. أحد أسلافه، جورج كينان، كان مستكشفاً وكاتباً. ترك مؤلفات كثيرة منها: -السياسة الأمريكية من عام 1900 - 1950، (1951)-الواقعية في سياسة أمريكا الخارجية، (1954)-روسيا تترك الحرب، (1956) -روسيا، والذرة، والغرب، (1958)-روسيا والغرب إبان عهد لينين وستالين، (1961)-من براغ بعد ميونخ، أوراق دبلوماسية، من عام 1938 - 1940، (1968)-تراجع نظام بسمارك الأوروبي، والعلاقات فرانكو-روسية، من عام 1875 - 1890، (1979)-الوهم النووي: العلاقات الروسية-الأمريكية في العصر النووي، (1982)-الحليف الضرورة: فرنسا، وروسيا، وبداية الحرب العالمية الأولى، (1984)-التل الصعب: فلسفة شخصية وسياسية، (1993). انظر: . جورج كينان

<http://ar.wikipedia.org/wiki/>

42- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية. م س، ص 81.

43- د. شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول 2001. عرض نادية سعد معوض، في موقع:

<http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-95-130115.htm>

وقد توسعت النظرة الأميركية لأهمية الايدولوجيا في حربها على الإرهاب، وبدأ التركيز على ضرورة التدخل في الجوانب الثقافية والتعليمية للشعوب الأخرى، خاصة العربية والإسلامية لمنع ظهور التيارات الدينية التي تقف موقف النقيض من ثقافة العولمة وتعمل على التصدي لفكر الغرب وحضارته<sup>(44)</sup>.

و عشية أحداث 2001/09/11، صارت أطروحة الصدام الحضاري و الحرب الحضارية متبناة من قبل جماعة من المفكرين والمثقفين ومراكز التفكير Think Tanks في الولايات المتحدة وأوروبا، وصار هؤلاء في اتجاه يبشر بالصدام الحضاري والثقافي على أنه أمر حتمي.

و هكذا انتقلت الأطروحات الصراعية ( نهاية التاريخ، نحن و الآخرون/المركزية الغربية، صدام الحضارات، الأناركية/الفوضى) من صفحات الأوراق و بطون الكتب، إلى أروقة السياسة و مخابر الدراسات الإستراتيجية، ثم ما لبثت حتى صارت سياسة متبعة من قبل الدول الغربية و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، و أضحت اتجاها في علاقاتها الدولية و الحضارية تجاه العالم الإسلامي.

و لقد بلغ الخطر منتهاه في هذه المرحلة، إذ لم يكتف الغرب بقيادة أمريكا بتبني هذا الاتجاه داخل أروقة وزارات خارجيته، بل فرض هذا التوجه داخل المنظمات الدولية الإقليمية و العالمية<sup>(45)</sup>، سواء كانت ذات صبغة تشريعية أو تنفيذية أو قضائية، و سواء كان مجال نشاطها سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي. و قد ثوج كل ذلك بالاستجابة لنصائح خبراءه و توصيات مراكز دراساته، فاحتل أفغانستان و العراق احتلالا كلاسيكيا، و أمعن في إحكام قبضته على فلسطين، و على دعم قواعده العسكرية في العالم الإسلامي، ثم شرع في تنفيذ مشروع الفوضى الخلاقة، بتقسيم السودان و تدمير سوريا و ليبيا و اليمن و مصر، و محاولات زرع الفتن في باقي ربوع العالم الإسلامي، كل ذلك تمهيدا للمشروع الأكبر و هو مشروع الشرق الأوسط الجديد، و هو الطبعة الجديدة لمشروع سايكس بيكو.

هذا و تجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة الحساسة من مراحل رصد تاريخ مصطلح الحرب الحضارية، يمكن إبراز تداول المصطلح فيها في صورتين، الأولى منهما تضم الأشخاص المتخصصين و الخبراء وهم آحاد و مستقلون لا يمثلون إلا أنفسهم على الرغم من تأثيرهم الفعال، و أما الصورة الثانية فتبرز المتخصصين وهم في مراكز للبحوث و مؤسسات للتفكير.

**الصورة الأولى:** و تضم فئة الأكاديميين المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط والعلاقات الخارجية في الجامعات الأمريكية، و فئة الناشطين السياسيين وأصحاب الأيدولوجيات خاصة اليمينية أو المناهضة للعرب والمسلمين، والذين يُقدّمون بوصفهم خبراء في شئون الشرق الأوسط بناء على مواقفهم السياسية والفكرية المثيرة للجدل<sup>(46)</sup>.

فطوال سنوات الحرب الباردة على محور موسكو- واشنطن، ظلت الدراسات الروسية تشغل مكانة هامة في الجامعات والمعاهد الأمريكية، ولكن بنهاية تلك الحرب حلت دراسات الشرق الأوسط و شمال إفريقيا(العالم الإسلامي) محل الكثير من برامج الدراسات الروسية.

44- د. نظام بركات، تداعيات أحداث سبتمبر على النظام الدولي، <http://www.aljazeera.net> بتاريخ الأحد 2004/10/3.

45- أ/محمد ضياء الدين محمد، اتجاهات العلاقات الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، كتاب الألوكة الإلكتروني، [www.alukah.net](http://www.alukah.net)

46- انظر: [https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/jZs6WOB\\_vcl](https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/jZs6WOB_vcl)

وقد ارتبطت أسماء المتخصصين الأكاديميين في دراسات الشرق الأوسط لفترة طويلة بحركة الاستشراق<sup>(47)</sup>، و تضم هذه الفئة عددا كبيرا من الدارسين والمفكرين كخبراء في قضايا ما اصطلحوا على تسميته الشرق الأوسط، و الجدير بالتنويه أن معظم الجامعات الأمريكية الشهيرة لديها برامج و أقسام عريقة قائمة بذاتها خاصة بدراسات الشرق الأوسط، يعود تاريخ تأسيسها إلى تاريخ تأسيس تلك الجامعات نفسها، وتعود أسباب ذلك الارتباط الحميم بين الأكاديميين و الجامعات، إلى أهمية و سمعة الأبحاث الأكاديمية التي تصدر عن الجامعات لدى الرأي العام الأمريكي باعتبارها أكثر دقة و موضوعية.

ويُعد برنارد لويس الأستاذ الأكاديمي الشهير واحدا من أهم رموز هذا التيار الاستشراقي، و الذي استطاع أن ينشئ نخبة من الأكاديميين على منواله. فقد تولى في جامعة برنستون خاصة وفي أمريكا عموماً قيادة حقل الدراسات الاستشراقية التي يهيمن عليها الصهاينة أو المتصهينين المتمركزين في أقسام ومراكز دراسات الشرق الأوسط، والدراسات الإسلامية بالجامعات الأمريكية، أمثال ليونارد بايندر، وإيلي كيدوري، ودافيد برايس، و دانيال بايس، ومارتن كيرمر، وتوماس فريدمان، ومارتن بيرتز، ونورمان بودو رتز، وجوديت ميلر، و فؤاد عجمي وغيرهم. والأخطر من ذلك أن لويس وأشياعه لم يكونوا في حقيقة الأمر أكاديميين فقط، بل كان لهم دور استشاري من خلال عملهم خبراء لدى هيئات ودوائر اتخاذ القرار في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(48)</sup>.

و كنماذج من بين هؤلاء الخبراء والمفكرين الناشطين بالكتابة في الدوريات والحديث إلى المؤتمرات والندوات يمكن ذكر البروفيسور فؤاد عجمي<sup>(49)</sup> الأستاذ بجامعة جونز هوبكنز؛ فقد كان الساسة و الإعلاميون الأمريكيون يوظفون مقولاته وأفكاره العدائية فيما يتعلق بالعالم الإسلامي، لتبرير سياساتهم ونظرتهم. وكانت أصول عجمي العربية والمسلمة (شيعي لبناني) تعطي خطابه نوعاً من الشرعية في الدوائر السياسية والثقافية الأمريكية، وتستخدم من قبل اليمين و بخاصة المحافظين الجدد لتمرير أفكار استشراقية وعنصرية؛ ليظهر فؤاد عجمي "العربي والمسلم" الذي يطالب "بتحرير الشرق من ذاته الكارهة لنفسها والتي تعيش عقد نقص"، وهو جزء من التعميمات التي وصف بها "العرب والمسلمين". على عكس الغالبية العظمى من المفكرين والأكاديميين العرب والمسلمين وغيرهم من الأمريكيين الذين كانوا مناهضين لعدوان الغرب على العالم الإسلامي ومناصرين للقضايا الإنسانية والعربية، و على رأسهم ادوارد سعيد<sup>(50)</sup>.

كما يعتبر برنامج الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون من أهم تلك البرامج التي تجمع بين الطبيعة الأكاديمية والبحثية، وتضم هيئة التدريس العديد من الأسماء المعروفة في العالم الأكاديمي، فمنهم دانييل برمبرج الخبير في شئون إيران والإصلاح بالشرق الأوسط، وجون إيسبيزيتو خبير الدراسات الإسلامية، وجون فوول بالإضافة إلى ويفوون حداد أساتذة الدراسات الإسلامية. كما

47- ادوارد سعيد، الاستشراق - المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة العربية السادسة (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 2003)، ص 259، 285.

48- د بدران بن الحسن، برنارد لويس ... و صهيينة الدراسات الاستشراقية. <http://217.199.187.67/drbadrane.net/ar/news.php?action=view&id=4>

49- فؤاد عجمي (1945 - 2014) هو أستاذ جامعي وكاتب سياسي لبناني أمريكي. من الطائفة الشيعية و هو من الأصوات التي تساند تيار المحافظين الجدد و إسرائيل، غير عجمي هوام السياسي لينقلب، بحسب شهادات ومقالات لعدة أشخاص عرفوه، من مؤيد للقضية الفلسطينية في بداية حياته الأكاديمية إلى مُعادٍ لها ومناصرٍ للصهيونية وعزّابٍ للحرب الأميركية على العراق واحتلاله عام 2003. ولم يكن دور عجمي في الشأن العراقي مقتصرًا على تصريحات إعلامية، بل كان أحد مستشاري الرئيس جورج دابليو بوش، غير الرسميين. وبحسب تقارير إعلامية أميركية، كان عجمي من الذين حثّوا بوش على احتلال العراق، إلى جانب المستشرق المعروف بمناصرته للصهيونية برنارد لويس، الذي درّس في برنستون، وربطت عجمي به علاقة وطيدة. انظر: فؤاد عجمي [http://ar.wikipedia.org/wiki/فؤاد\\_عجمي](http://ar.wikipedia.org/wiki/فؤاد_عجمي).

50- د. مازن صلاح مطبقاني، من قضايا الدراسات العربية الإسلامية في الغرب، ص 28، 29. كتاب اليكتروني. <http://www.saaid.net/Doat/mazin/>.

تشمل الهيئة شخصيات من قطاع صناعة القرار السياسي - مثل وزيرة الخارجية السابقة مادلين أولبريت ورئيس جهاز المخابرات الأمريكي السابق جورج تيننت ورئيس وزراء أسبانيا السابق خوزيه ماريا أزناز ومدير شئون الخليج بمجلس الأمن القومي سابقا كينيث بولاك إلى جانب مسئولين سابقين بوزارة الخارجية الأمريكية مثل ميشيل دان<sup>(51)</sup>.

**الصورة الثانية:** و تبرز المتخصصين و الخبراء وهم في مؤسسات للتفكير و مراكز للبحوث (Think Tanks). وهم خليط بين أساتذة الجامعات والمفكرين والمسؤولين السابقين في الإدارات الأمريكية المتعاقبة. ويعتبر كل من هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأشهر ودينيس روس المنسق السابق لعملية سلام الشرق الأوسط ومارتن أنديك مدير مركز سابان لدراسات الشرق الأوسط من المرجعيات الأساسية التي يتم استشارتها من قبل صانعي السياسة الأمريكية ولجان الكونجرس عند مناقشة قضية من قضايا الشرق الأوسط خاصة الصراع العربي الإسرائيلي.

و مراكز البحوث يطلق عليها أيضا مخازن الفكر أو التفكير (Think Tanks) أو مخابر الفكر وهي عبارة عن كيان أو مجموعة أو مؤسسة أو معهد أو هيئة (حكومية أو غير حكومية)، وظيفتها القيام بإجراء الدراسات و البحوث العلمية المركزة و المعمقة، و محاولة إيجاد الحلول للمعضلات، المتعلقة بمواضيع ذات طابع اجتماعي سياسي أو قضايا الإستراتيجية السياسية أو القضايا المتأثرة بالتطورات العلمية و التكنولوجية و القضايا العسكرية<sup>(52)</sup>.

و هي من ابتكارات الولايات المتحدة عن جدارة و تكاد أن تكون ظاهرة أمريكية عن استحقاق، لا تنافسها أي دولة أخرى من ناحية تنوع هذه المراكز أو كثرتها، أو حتى عدم ارتباطها المباشر بنظام الحكم وصناعة القرار و التأثير المباشر على الإعلام، وبالتالي على الرأي العام الأمريكي و العالمي، مقارنة بأغلب دول العالم الأخرى التي ترتبط فيها المراكز الفكرية ارتباطاً مباشراً بالنظام الحاكم<sup>(53)</sup>.

و قد بلغ عددها في سنة 2013م 6826 مركزاً على مستوى العالم، حيث تحوز الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها 1828 مركزاً، و تستحوذ العاصمة واشنطن لوحدها على 395 مركزاً<sup>(54)</sup>.

وقد كان لأحداث الحادي عشر من سبتمبر أثراً واضحاً على المدارس الفكرية والسياسية الأمريكية عموماً، و على مخازن التفكير بوجه خاص، سواء في توصيف الحدث أو مقترحات التعامل السياسي والأمني والعسكري معه<sup>(55)</sup>. إذ تبنى كثير منها مواجهة العالم الإسلامي فكرياً و ثقافياً و حضارياً و خاصة مخازن التفكير ذات التوجه اليميني، التي سارعت إلى تقديم خبراتها في كل المجالات المتعلقة

51- خبراء الشرق الأوسط في واشنطن، يحيى عبد المبدي - تقرير واشنطن 2007/9/1. مركز الزيتونة للدراسات و الاستشارات في موقع : <http://www.alzaytouna.net/permalink/5125.html>.

52- د.بسمه خليل نامق، مؤسسات مخازن التفكير ودورها في صياغة السياسة الخارجية للدولة الحديثة النموذج الأمريكي، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية العدد: الثاني المجلد: الثاني كانون الأول 2009، ص 133. وانظر [http://www.toupie.org/Dictionnaire/Think\\_tank.htm](http://www.toupie.org/Dictionnaire/Think_tank.htm).

53- د.باسم خفاجي، دراسة عن مخازن التفكير بعنوان مفكر. <http://www.islamdaily.org/ar/scholars/274.article.htm>.

54- **THINK TANKS AND CIVIL SOCIETIES PROGRAM INTERNATIONAL RELATIONS PROGRAM, UNIVERSITY OF PENNSYLVANIA; GLOBAL GO TO THINK THANK 2013, CLASSEMENT ET RAPPORT, James G. McGann, Ph.D. Directeur, Think Tanks and Civil Societies Program, Université de Pennsylvanie, Philadelphie, Etats-Unis,**

55- د.باسم خفاجي، دراسة عن مخازن التفكير بعنوان مفكر، م س. <http://www.islamdaily.org/ar/scholars/274.article.htm>.

بالإسلام دينا و حضارة، وتنافست هذه المراكز الفكرية في تقديم النصح للإدارة الأمريكية عن أفضل الطرق لتحجيم الخطر الأخضر الذي يهدد الولايات المتحدة.

وتكاد تنحصر مواقف غالبية مخازن التفكير الأمريكية من الإسلام و العالم الإسلامي و الحضارة الإسلامية، بعد أحداث 2001/09/11م، في كون التهديد الإسلامي شبيه بالتهديد الشيوعي العالمي. ويضاف إلى ذلك أن الإسلام الأصولي هو تفسير أيديولوجي هدفه تحريك المشاعر المعادية لأمريكا وإسرائيل، وأن المؤامرة الإسلامية تستهدف تدمير الغرب وإسرائيل والقيم الأمريكية، كما يعتقد كثير من الباحثين في المراكز الفكرية الأمريكية أن هناك تصادما بين قيم وثقافات كل من الإسلام والغرب على مدى قرون من الزمن. و قد ضخمت هذه المراكز من الخطر الإسلامي، و أعطت للإدارة الأمريكية المبررات الأخلاقية اللازمة للهجمة العسكرية الشرسة على العالم الإسلامي.

و لكن من الموضوعية أن نفرق بين مواقف مخازن التفكير و مواقف و أطروحات التيار الأكاديمي الذين لا يرتبطون بتلك المخازن و لا بالصهيونية أو الصليبية الجديدة إذ يشعر المتابع لهؤلاء الأكاديميين المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط والعلاقات الخارجية في الجامعات الأمريكية المشار إليهم في الصورة الأولى أنهم على درجة من الاعتدال الفكري و الموضوعية في الطرح، ولكن يبقى هذا الطرح على وجاهته ضعيف التأثير في الإعلام و في الرأي العام، و بالتالي ليس له من أثر يذكر على صناعة القرار الأمريكي، و لهذا فقد بقي هذا التصور حبيس الجدران الأكاديمية ومحور حديث ونقاش صفوة المثقفين دون أن يؤثر بأي صورة ملحوظة على السياسات الأمريكية تجاه العالم الإسلامي<sup>56</sup>.

### الخلاصة

في ختام هذا البحث يمكن الخلوصل إلى النتائج التالية:

- إن مصطلح الحرب الحضارية و ما يدور في فلكه من مصطلحات مثل الصدام الحضاري و الصراع الحضاري و غيرها، و كذا البراديغمات الرافدة له، لم تنبثق بنهاية الحرب الباردة بين محور موسكو - واشنطن؛ و ينطبق نفس الأمر على الحرب الحضارية كظاهرة إنسانية، إذ تضرب بجذورها إلى فجر الحضارات الإنسانية.

- إن الحرب الحضارية حتى و إن اعتبرت ظاهرة إنسانية، فهي ليست حتمية تاريخية لا فكاك منها و لا مناص، كما ذهب إلى ذلك كثير من المنظرين و فلاسفة العلاقات الدولية الغربيين و على رأسهم الأمريكيين، بل هي إستراتيجية غربية قديمة و تبنتها الولايات المتحدة في مراكز التفكير و التنظير و في واقع العلاقات الدولية.

- إن السياق المنهجي لهذه المحاولة البحثية، أفضى إلى أن بناء التعريفات و بخاصة الإجرائية، و كذا بناء المفاهيم في الدراسات الإنسانية و الاجتماعية، يكون أقرب للدقة و الموضوعية حينما يعتمد البحث على الرصد التاريخي للمصطلح والظروف العامة لانبثاقه، و ذلك لأن التتبع التاريخي للظاهرة منذ انبثاقها يساهم في فهم مختلف مكوناتها و إدراك مراحل تطورها عبر مسارها الزمني، و كل ذلك

56- د. باسم خفاجي، دراسة عن مخازن التفكير بعنوان **مفكر**، م س. <http://www.islamdaily.org/ar/scholars/274.article.htm>



في ضوء التوجيه الرباني: ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) سورة العنكبوت الآية 20.

- إنه من خلال تتبع الباحث لمفهوم الثقافة والحضارة وتحليله لمختلف عناصرهما والوقوف على بعض الأطروحات ذات العلاقة بالمصطلح في دراسة سابقة يأمل نشرها، ومن خلال الوقوف على تاريخ مصطلح الحرب الحضارية والظروف العامة لانبثاقه، يمكن اقتراح تعريف للحرب الثقافية أو الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي بما يلي :

الحرب الحضارية الأمريكية هي عملية الغزو والتفكيك المنهجي للعالم الإسلامي، أو للذات الحضارية الإسلامية كمركب حضاري أو لمكونات الجامعة الإسلامية، الممارسة من قبل أمريكا وحلفائها وأتباعها عبر العالم - باعتبارها الوريث للحركة الكولونيالية اللاتينية - والتي وظفت فيها جميع وسائلها العسكرية والمدنية (الاقتصادية والسياسية والفكرية والثقافية والإعلامية...)، وهذا التفكيك هو بالنتيجة تفكيك لعناصر القوة التي استندت إليها حركة العالمية الإسلامية سابقا، وتقوم عليها فكرة العالمية الإسلامية التي قد تنبعث وتحي من جديد؛ كل ذلك بهدف التغيير الحضاري للآخر (العالم الإسلامي) ودمج جميع خصوصياته الحضارية في الخصوصية الحضارية الأمريكية، وتغيير أنظمتها ومركباته الحضارية وإبادتها<sup>(57)</sup>، وهذه العناصر ومكونات المركب الحضاري الإسلامي يمكن إبرازها على النحو التالي:

- مكون الأصول الحضارية وهي : الأصول العقدية والأصول التشريعية والأصول الأخلاقية .
- مكون الأركان الحضارية وهي : اللغة العربية والعلماء والوحدة والشورى والرسالية والتجديد والتراث والتاريخ والعدل والحرية والعادات والتقاليد والأعراف.
- مكون المرتكزات الحضارية وهي : المرتكز الجغرافي (الجيو- سياسي و المرتكز الاقتصادي و المرتكز الإنساني أو البشري<sup>(58)</sup>).

57- أحمد العمري، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار: المغرب نموذجا. الطبعة الأولى (فريجينا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1997) ص 1، 5، 7.

58- ن م، ص 6، 5.